



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

Impact factor isi 1.651

العدد الخامس والعشرون / حزيران 2024

الاصلاحات الادارية وإسهاماتها
في نهوض الخلافة العثمانية
في عهد
السلطان عبد الحميد الثاني

أحمد ناصر محمد

باشراف الدكتور

أنيس الأبيض

جامعة الجنان

كلية الاداب والعلوم الانسانية

قسم الدراسات العليا



محتويات البحث

رقم الصفحة	الموضوع
2	المقدمة
	المبحث الأول
3	بداية تاسيس الدولة العثمانية
4	لمحة تاريخية
5	ولادة السلطان عبد الحميد الثاني ونشأته الاجتماعية والثقافية
	المبحث الثاني
7	زيارة الامير عبد الحميد الثاني الى عدد من الدول الاوربية
8	تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم واعلانه الدستور
10	علاقة السلطان عبد الحميد الثاني مع الدول الكبرى واثرها على الاصلاحات التي قام بها
	المبحث الثالث
12	اصلاحات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني منذ استلامه الحكم
12	الاصلاحات في مجال المعرفة والعمران
13	الاصلاحات في مجال الاقتصاد
	المبحث الرابع
14	اعادة تنظيم الجيش
16	الاصلاحات في مجال الصحة والتطور التكنولوجي
17	مشاريع الاعمار التي بدأها السلطان عبد الحميد في البلدان العربية
20	وفاة السلطان عبد الحميد الثاني
21	مصادر البحث



مقدمة

يمكن اعتبار السلطان عبد الحميد الثاني من أشهر السلاطين العثمانيين ولا ترجع شهرته إلى كثرة الإنجازات بل لأمر أخرى كثيرة ميزت فترة حكمه الطويلة التي امتدت ثالثا وثلاثين عاما حيث كان السلطان عبد الحميد هو آخر الحكام الفعليين ممن حكم الدولة العثمانية . وعندما يذكر الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني تذكر فترة بالغة الأهمية من حياة الأمة الإسلامية ذلك السلطان الذي كان يقول : (القوة الوحيدة التي ستجعلنا واقفين على أقدامنا هي الإسلام لسنا أمة تتازع إنما أمة قوية بشرط أن نكون مخلصين لهذا الدين العظيم إذا كنا نريد أن نحيا من جديد وأن نستعيد قوتنا ونبلغ عزتنا التي كنا فيها علينا أن نرجع إلى المعين الذي أخذنا منه فالخير كل الخير في رجوعنا إلى إسلامنا وإلى شريعتنا والشر كل الشر في تقليدنا للحضارة الأوروبية الزائفة) . (1)

ويكفي السلطان عبد الحميد أنه كان سياسيا مفكرا عاملا حيث بلغت الدولة العثمانية في عهده الذروة في مجال الإصلاحات الداخلية حيث شملت الزراعة وتحديث الصناعة والارتقاء بالتجارة الداخلية والخارجية وإصلاح أمور القضاء والنهوض بالتعليم المهني والاهتمام بالقطاع الصحي والمواصلات وإنشاء شبكة السكك الحديدية والمواني البحرية و الخدمات البريدية ، وقد ورث السلطان عبد الحميد حكومة مثقلة بالديون والإفلاس والامتيازات الأجنبية لكنه لم يستسلم أو يساير أعداءه فكان يتشوق للإصلاح وكان تمنى أن تتركه الدول الأوروبية الحاقدة وشأنه في إدارة شؤون الدولة ليتفرغ إلى الإصلاح في كافة المجالات . كما إنه صاحب مشروع للوحدة الإسلامية والإصلاح التعليمي والاقتصادي مما جعله عرضة لتكالب البعيد والقريب حتى لا يحقق ما كان يصبو إليه لينتهي حكمه بعد ثلث قرن من

1 - د . محمد حرب ، مذكرات السلطان عبد الحميد ، دار القلم ، الطبعة الثالثة ، 1412 هـ / 1991 م



الزمان لا سيما وانه اعتلى العرش في ظروف حرجة بعد خلع عمه عبد العزيز عن العرش ثم انتحاره بشكل غامض ثم جنون أخيه الأكبر مراد الخامس وسجنه .

المبحث الأول

بداية تأسيس الدولة العثمانية

أسست الدولة العثمانية في بداية القرن الرابع عشر علي يد عثمان الأول ابن أرطغرل إذ كانت مجرد إمارة صغيرة داخل حدود العالم الإسلامي تعتمد على الغزو ضد الصليبيين ، وبدأت هذه الإمارة في التوسع شرقا بشكل تدريجي ، وضم العديد من الأراضي لصالحها ، وأصبحت بذلك أقوى دولة في المنطقة .⁽²⁾

إن الدور الذي قامت به الدولة العثمانية بعدما تحولت من دويلة صغيرة إلى خلافة تسعى إلى توحيد العالم الإسلامي تحت راية واحدة ومنهج واحد وأصبح لها دورا مهما في نشر الإسلام وإيصاله لدول أوروبا ، إضافة إلى تقديم خدمات جليلة وواضحة للعالم العربي وللمسلمين بشكل عام ، ومن ذلك حماية الشرق العربي والإسلامي من الغزو الاستعماري بحيث واجهت جميع الهجمات وتصدت للمخططات ومنعت تغلغل المستعمر وتنفيذ مخططاته داخل الحجاز ، وكذلك الدفاع على المقدسات الإسلامية وعلى رأسها حماية الكعبة المشرفة والمسجد النبوي ، ثم استئناف الزحف تجاه بيت المقدس والاستيلاء على المسجد الأقصى .⁽³⁾

² - الصلابي ، علي محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار ابن كثير ، الطبعة الأولى ، 2003 م ص52

³ - المصدر السابق ، ص77



وعموماً لقد كان للخلافة العثمانية دوراً عظيماً في نشر الإسلام وحمل رايته إلى العالم كله وإلى جنوب شرق أوروبا بالتحديد ، كما قامت برعاية المسلمين وتوفير جميع الاحتياجات التي سهلت نشر الإسلام في أوروبا ، ويتضح ذلك من حجم وكثرة المساجد التي لا زالت موجودة في أوروبا وغيرها من الآثار الإسلامية ، كما أن من المجهودات الكبيرة والعظيمة التي قامت بها الدولة العثمانية هو كفالتها للحرية الدينية مما أدى إلى اتساع نطاق الإسلام. فقد كان سلاطين الدولة العثمانية يعتمدون الألقاب الدينية بجانب أسمائهم مثل لقب حامي "الحرمين الشريفين" ، ولقب الخليفة ، كما حرصوا على تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً صارماً بحذافيرها ، فقد كان الدين والدولة عندهم أمر واحد ، والقرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأصيلان لسياستهم ، وكان الطابع الإسلامي يأخذ مكانة في تشريعات الدولة وفتوحاتها. (4)

لمحة تاريخية

يُرجع كثيرٌ من الباحثين نشأة الدولة العثمانية إلى عام 699هـ - 1299م عندما استقل الأمير عثمان بإمارته الصغيرة عن الدولة السلجوقية بينما يرجعها البعض الآخر إلى عام 708هـ - 1308م عندما توفي آخر سلاطين سلاجقة الروم السلطان غياث الدين مسعود الثالث ، حيث كانت الإمارة العثمانية تابعة للدولة السلجوقية قبل ذلك. ومع أن عثمان بن أرطغرل لم يُلقب بالسلطان أو الخان إلا بعد وفاته ، إلا أنه يعد المؤسس الأول للأسرة. وقد حكم 45 عاماً ، واستطاع توسيع مملكته من 4800 كم²، عند توليه الإمارة بعد والده أرطغرل، عام 681هـ - 1281م إلى 16 ألف كم²، حين سلمها لولده أورخان ، عام 726هـ - 1326م . اتخذ أورخان بن عثمان الذي

4 - اسماعيل ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى / 1996 م ص 61



ولد عام 1281م مدينة بورصة ، الواقعة في أقصى غرب الأناضول ، عاصمة لملكه ، وقاعدة لتحركاته ، بعد أن تيسر له فتحها قبيل وفاة والده عام 726هـ - 1326م ثم فتح إزمير عام 1327م وطاوشانلي في عام 1330م . واستطاع بذلك أن يفرض على الإمارات السلجوقية المجاورة الاعتراف الفعلي بحكمه وبأنه وريث العرش السلجوقي . العديد من الخلفاء والسلاطين على مر 600 سنة التي شهدت علواً وعزاً للإسلام تارةً وانكساراً تارةً أخرى ولكن أفضل أيامها كان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومن أبرز سلاطينها الذين كان لهم بالغ الأثر في إحياء الخلافة الإسلامية وإعادة هيبة الدولة العثمانية هو السلطان عبد الحميد الثاني . (5)

ولادة السلطان عبد الحميد الثاني ونشأته الاجتماعية والثقافية

وُلد السلطان في 26 شعبان 1258هـ/ 21 أيلول 1842م وتلقَّى السلطان عبد الحميد تعليمه بالقصر السلطاني "جيراجان"، وطبقاً لتقاليد القصر المعتادة، تلقى تعليمه الأول على يد أساتذة متخصصين مشهورين بإمامهم التام بأمور الدولة وعلومهم الغزيرة، فقد كانوا من أبرز علماء عصرهم علماً وخلقاً ، وأتقن من اللغات : الفارسية والعربية ، وكذلك دَرَس التاريخ وأحبَّ الأدب ، ونظَّم بعض الأشعار باللغة التركية العثمانية. (6)

5 - محمد علي ، اورخان السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عهده ، مطبعة التقدم ، اسطنبول ، 2002 ، ص45

6 - أرباجي ، د سيف الله ، السلطان عبد الحميد الثاني مشاريعه الاصلاحية وانجازاته الحضارية ، ص 32 ، ترجمة عيبر سليمان ، دار النيل للطباعة والنشر ، ط1 ، 2011 ، مصر القاهرة



والسلطان عبد الحميد هو ابن السلطان عبد المجيد الأول ، وأمّه هي واحدةٌ من زوجات أبيه العديداً ، واسمها "تيرمزان قادين" الشركسية الأصل ، تُوفيت عن عمر يناهز 33 عامًا ، ولم يتجاوز ابنها عشر سنوات ، فهو الابن الثامن بين أبنائه عمومًا ، والثاني في الذكور ، والثاني أيضًا بين أبناء عبد المجيد الذين تولّوا السُلطة والخِلافة ، فعهد بعبد الحميد بعد وفاة أمه إلى زوجة أبيه "بيرستو قادين" ، التي اعتنت بتربيته ، ولم تكن قد رُزقت أولادًا ، وأولته محبتها لذا منحها عند صعوده للعرش لقب "السلطانة الوالدة" عند توليه العرش بعد 28 سنة وقد تأثر بها وأعجب بوقارها وتدينها. وكان لهذا انعكاسه على شخصيته طوال عمره.

كانت طفولته حزينةً جدا حيث فقد أمه وهو في العاشرة من عمره ، و تُوفي والده وعمره 19 عامًا. لقد أنضجته تلك الأحزان التي مرَّ بها ، فجعلته أكثر اهتمامًا بدراسته ، عازفًا عن الملهيات بصفة خاصة ، ويحيا حياةً وقور. كما عُرف عنه مزاولته الرياضة ، لقد كانت من أحد أعماله اليومية حينما كان أميرًا. وكان فارسًا بارعًا ومصوبًا ممتازًا عرف عنه كذلك المحافظة على العبادات والبُعد عن الرذائل والمسكرات والميل إلى العزلة ، كان حذرًا كتومًا جدًّا ، قليلَ الكلام ، كثيرَ الإصغاء ، من الصعْب غشُّه ، وكان محافظًا على التقاليد الإسلامية الشرقية العثمانية التركية ، وكان من مؤيدي المحافظة عليها ، وتدرَّب على استخدام الأسلحة ، وكان يُتقن استخدام السيف ، كما كان مُهتمًا بالسياسة العالمية ، ويُتابع الأخبارَ عن موقع بلاده منها بعناية فائقة .

بتاريخ 31 آب 1877 استلم مقاليد الحكم بشكل فعلي و في هذه السنة دخلت الدولة العثمانية في أكبر أزمة مالية خانقة ، ولدى استلام السلطان أظهر توجهها إصلاحيا حيث عهد بمنصب الصدر الاعظم وهو بمثابة رئيس الوزراء الى السلطان المعروف (مدحت باشا) وهو أحد زعماء الاصلاح



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

فأمر بإعلان الدستور وبداية العمل به حيث كان الدستور مقتبسا عن دساتير دول أوربية منها بلجيكا وفرنسا وعدد من الدول الأوروبية الأخرى ، وكانت مواد الدستور تظم 119 مادة شملت الحقوق التي يتمتع بها السلطان وهي الحقوق الدستورية كأى ملك دستوري كما نص الدستور على تشكيل مجلس نواب منتخب سمي بـ (هيئة المبعوثان) . (7)

حيث لم يكن السلطان راضيا بقراره الدستوري الذي يقيد صلاحياته فأخذ يتحين الفرص لتعطيل الدستور والتخلص من زعماء الإصلاح وعلى رأسهم السلطان مدحت باشا وكان ذلك عندما نشبت الحرب الروسية - العثمانية سنة 1877م حيث نفاه إلى سوريا اوال ثم إلى الحجاز حيث اغتيل هناك ثم عطل السلطان الدستور واستمر بالحكم حتى أقيل عن حكمه نهائيا سنة 1909م على أيدي اعضاء جمعية الاتحاد والترقي .

7 - الصلابي ، محمد علي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ، ص337 - ص 339 دار ابن كثير ، الطبعة الأولى ، 2003



المبحث الثاني

زيارة الأمير عبد الحميد الثاني الى عدد من الدول الاوربية

خلال زيارة قام بها عم عبد الحميد الثاني السلطان عبد العزيز الى عدد من الدول الأوروبية برفقة وفد عثماني رفيع المستوى وكان من ضمنه الأمير عبد الحميد حيث استفاد من هذه الرحلة برؤى واسعة و كان دقيقا في رؤيته وفي حكمه على الأشياء التي رآها في الدول الغربية حيث التقى الوفد العثماني بعدد من ملوك وقادة ذلك العصر بأوروبا مثال في فرنسا (نابليون الثالث) وفي إنكلترا (الملكة فكتوريا) و في بلجيكا مع (ليوبلد الثاني) و في ألمانيا (غليوم الأول) و في النمسا (فرنسوا جوزيف) حيث استغرقت الزيارة من 21 حزيران إلى 7 آب من عام 1877 م وفي هذه الرحلة الأوروبية توسعت مدارك السلطان عبد الحميد في أمور عديدة حيث انعكست على فترة حكمه كلها بعد ذلك وقد كتب عن

نتائج زيارته الى هذه الدول الى عدة أمور منها :-

- 1- ان الحياة في اوربا بكل ما فيها من طرق معيشية غريبة وأخلاقيات مختلفة عن المجتمع في الدولة العثمانية والمجتمع الشرقي عموما .
- 2- أعجب بالتطور الصناعي والعسكري في هذه الدول وبخاصة في صنوف القوات البرية الفرنسية والألمانية وفي القوات البحرية البريطانية.
- 3- اصبح يفهم ويعي الأعباء السياسية العالمية.
- 4- امتلك تصورا كبيرا عن مدى تأثير القوى الأوروبية على سياسة الدولة العثمانية.

وخلال زيارته هذه اصبح لدى الأمير عبد الحميد وجهة نظر يمكن ايجازها بـ :

- 1- أن فرنسا دولة لهو .
- 2- إنكلترا دولة ثروة زراعية وصناعية.



- 3- أما ألمانيا فهي دولة نظام وعسكرية وإدارة .
وكان إعجاب الأمير الشاب بألمانيا كثيرا ، لذلك عهد بتدريب الجيش العثماني عندما استلم الحكم اليها ومن جملة تأثر الأمير عبد الحميد بهذه الرحلة دفعه ذلك التأثير إلى الاهتمام بإدخال المخترعات الحديثة الى دولته في مختلف نواحي الحياة (التعليمية والصناعية ووسائل الاتصالات والأمثلة على ذلك كثيرة منها شراء غواصتين حربيتين حيث تم تأسيس سلاح الغواصات ، كما تم إدخال التلغراف إلى البلاد كما أنشأ المدارس الحديثة وأدخل فيها مناهج العلوم العصرية كما أدخل إلى البلاد أول سيارة وأول دراجة وتم استخدام نظام القياس المتري كما انه وقف بحزم ضد انتشار الفكر الغربي في البلاد. حيث أثرت رحلة عبد الحميد الى أوروبا في اتباعه سياسة استقلالية تجاه الدول الأوروبية ولم يعرف عن عبد الحميد تأثير أي حاكم أوروبي عليه مهما كانت صداقته ومهما كانت درجة التقارب بين بلده وبين الدولة العثمانية وكان عمر عبد الحميد أثناء هذه الرحلة 25 عاما. وعلى الرغم من تأثر الأمير عبد الحميد بالنهضة الغربية إلا أنه استطاع بذكائه وخبرته أن يفرق بين أمرين وهما :-
1- الاستعانة بتجارب الأمم والتقنية العصرية .
2- الحفاظ على أصالة الأمة وقيمها وعقيدتها وتراثها. (8)

8 - الهلالي ، محمد مصطفى ، السلطان عبد الحميد الثاني بين الانصاف والجود ، دار الفكر المعاصر ، القاهرة ، ص111



تولى السلطان عبد الحميد الحكم وإعلانه الدستور

تولى السلطان عبد الحميد عرش السلطنة بالخلافة بعد ان تنحى أخيه السلطان مراد وذلك يوم الخميس في 31 آب 1877م وكان عمره في تلك الفترة أربعة وثلاثون سنة وقد حضر مبايعته كافة الوزراء والوجهاء والأعيان وكبار الموظفين من المدنيين والعسكريين في سراي (طوبقوبو) وهناك كافة رؤساء الطوائف المختلفة كما أطلقت المدافع بسائر أطراف بهذه المناسبة ، وعلقت الزينة في جميع مناطق استانبول ولمدة ثلاثة أيام كما أرسل الصدر الأعظم برقيات إلى الكثير من دول العالم لعالمها بهذا المر وما إن تولى عبد الحميد السلطة حتى بدأ بتغيير كثير من العادات السيئة للقصر. وأول ما قام به هو تقليل المصاريف الباهظة للقصر إذ استدعى محمود جلال الدين باشا و وزير المالية غالب باشا و أمرهما أن يدقعا مصاريف القصر و أن يقلصاها إلى الحد الأدنى فمثال كان من عادة القصر أن يرسل عدة صوان من الطعام في الغداء و العشاء إلى بيت كل مستخدم في القصر و هم يعدون بالمئات فصدر القرار بمنع هذا و أن المستخدمين في القصر يستطيعون تناول الطعام في القصر في ساعات معينة و بهذا تقلصت مصاريف المطبخ في القصر التي كانت تزيد عن الأربعين ألف قطعة ذهبية شهريا في عهد السلطان عبد العزيز ثم أمر أمرا آخر بمنع مظاهر البذخ و الترف التي كانت عادة أمراء و أميرات القصر و بذلك تقلصت مصاريف القصر في السنة بما يقارب العشرة ألف قطعة ذهبية و شيء آخر تغير من عادات القصر فالسلاطين السابقون لم يكونوا يتناولون الطعام مع أفراد أسرهم لانه مخدش للهيبة السلطانية حسب فكرهم ، فالسلطان يجب أن يكون وحده في أثناء تناول الطعام و يأتي السلطان



عبد الحميد ليغي هذه العادة و يجلس مع أفراد عائلته و أسرته على مائدة الطعام كأبي رب أسرة آخر. (9)

كما انه عمل على ازالة الكثير من البروتوكولات السابقة في اجتماعه بالوزراء فقد كان الصدر الأعظم و الوزراء يجتمعون بالسلطين السابقين و هم وقوف في حضرته واضعين أيديهم أمامهم و لكن السلطان عبد الحميد يطلب منه الجلوس معه حول طاولة واحدة للتباحث معهم حول أمور الدولة .

والمعروف ان السلطان قد تبوأ عرش السلطنة وهي على أسوأ حال حيث كانت الدولة في منتهى السوء والاضطراب سواء في ذلك الأوضاع الداخلية والخارجية حيث دأب على إصلاح الدولة العثمانية وتقليل اعتمادها على أوروبا كما سعى بكامل قوته إلى إعادة الهبة للخلافة فأطلق شعاره الشهير "يا مسلمي العالم اتحدوا" سعياً منه الى توحيد الأمة الاسلامية ليس هذا فحسب بل وقام بالعديد من الإصلاحات والإنجازات في فترة حكمه .

علاقة السلطان عبد الحميد مع الدول الكبرى وأثرها على

الإصلاحات التي قام بها

كان الرأي المعروف عن السلطان عبد الحميد الثاني شخصاً غير مرغوب فيه بالنسبة أكثر الدول الأوروبية ذلك باعتقادهم بأنه يمسك في قبضته على المالين من المسيحيين وبصفته خليفة للمسلمين فإن له نفوذاً وسلطاناً روحياً على رعايا الدول الأوروبية من المسلمين . (10)

9 - الصلابي ، علي محمد ، مصدر سابق ص 97

10 - حرب ، محمد ، السلطان عبد الحميد الثاني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الاولى ، 1990 م ص 107

* ولد محمود أبو الشامات في دمشق ودرس في مدارسها وعمل في التجارة قبل الالتحاق بالدراس الدينية ليصبح فقيهاً من فقهاء عصره ومرجعاً في الطريقة الشاذلية التي تعلمها على يد الشيخ نور الدين اليرشطي في



كان من غير الممكن ألي من الدول الكبرى أن تقتطع أجزاء من الدولة العثمانية في أوروبا أو دول البلقان في ظل وجود السلطان عبد الحميد الثاني لذا أخذت فكرة إسقاطه والتخلص منه تكتسب أهمية كبيرة بين أعدائه . ويقول السلطان عبد الحميد في رسالة كتبها بعد خلعه من الحكم إلى شيخه محمود أبو الشامات * :

(أنني لم أتخلى عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم جون تورك و تهديدهم اضطرت وأجبرت على ترك الخلافة إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على بان أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا وعدوا بتقديم 150 مليون ليرة إنجليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف . لقد خدمت الأمة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى (اسالنيك) فقبلت هذا التكليف الأخير وحمدت المولى وأحمده أنى لم أقبل أن أطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة).

ومن الملاحظ أن السلطان عبد الحميد كان بعيداً عن تصفية معارضييه أو أسلوب الاغتيالات كما انه ال يلجأ إلى عقوبة السجن إلا في ظروف معينة ثم يغيرها الى عقوبة النفي خارج البلاد .

عكا ذاع صيته في أوساط دمشق العلمية ووصل إلى مسامع السلطان عبد الحميد الثاني الذي قربه منه وتلمذ على يديه في الطرق الصوفية .



المبحث الثالث

الاصلاحات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني منذ

استلامه الحكم

- مع استلام السلطان عبد الحميد الثاني سدة الحكم عام 1877م اتخذت عملية الإصلاح اتجاها جديدا نابع من إيمانه بعبء أفكار أهمها :- (11)
- 1- الدين الإسلامي هو "القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوىاء".
 - 2- الدول الأوروبية ال تريد الخير لدولته .
 - 3- كل دولة لها ظروفها الخاصة فما يصلح لواحدة قد يضر أخرى .

ولهذه العوامل كان السلطان عبد الحميد يرفض قيامه بتقليد للدول الغربية وإن كان يرى أن الدين الإسلامي ال يمنع اقتباس العلوم والتقنية وأسباب القوة من الدول غير المسلمة بشرط أن يكون الاقتباس حسب حاجة الدولة وليس تنفيذا لأوامر من الخارج فالدول الغربية ال تتعامل إل من خلال مصالحها الذاتية ولهذا فإنه لن يساعد في تقديم المساعدة العلمية للدولة طالما أنه يمكنه بيعها جاهزا ما تود هي تصنيعه هذا فضال عن أنها تسعى أي الدول الغربية لتفتيت الدولة العثمانية والقضاء عليها ولذلك فقد أثبتت التجربة أن اتباع نصائح أوروبا وتنفيذ أوامرها لن يأتي إل بالهزيمة والدمار هذا إلى أن ما يصلح لدولة تتكون من عنصر واحد قد يكون سما لدولة تتكون من عناصر شتى من السكان وظروف دولة تقع في أقصى الأرض تختلف عن ظروف دولة تقع في وسطها.

11 - الصلابي ، محمد علي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ، مصدر سابق ، ص130



اصلاحات السلطان في مجال المعرفة والعمران

ان عملية النهوض الشاملة التي قام السلطان عبد الحميد في كافة أركان الدولة وتحديثها حيث كان تركيزه على أمرين مهمين هما :

1- التطور العلمي والإسراع في البناء .

2- مجابهة التأثيرات الفكرية والسياسية الغربية ، إضافة إلى أنها نابعة من حضارة أوروبا التي ال سبيل إلى جمعها مع حضارة الإسلام فالعثمانيين في مكان واحد فقد فتحت الباب لاستقطاب الولاء للغرب ولهذا حاول إعطاء هذه النهضة محتوى إسلاميا بدعم نشر الفكر الاسلامي . أما في مجال العلم والمعرفة فقد تم تأسيس كلية الهندسة و كلية الطب و كلية العلوم و كلية الآداب و كلية الحقوق و كلية العلوم السياسية و كلية الفنون الجميلة و كلية التجارة و كلية الزراعة و كلية الطب البيطري و كلية الغابات و كلية التجارة و الكلية العسكرية و كلية المعلمين و كلية اللغات كما تم بناء المدارس الابتدائية ونشرها في الكثير من القرى بالإضافة إلى إنشاء المتوسطة في مراكز القضية والنواحي والمدارس الثانوية في مراكز الألوية هذا بعد أن كان بناء المدارس يسير ببطء إلى بداية

حكم السلطان وقد نتج عن انتشار المدارس في عهده الى تضاعف أعداد من يجيدون القراءة والكتابة إلى نسب عالية وصلت في بعض المدن إلى عشرة أضعاف وكان من توجيهات السلطان عبد الحميد أن يكون المحتوى التعليمي الاسلامي واستبعاد أصحاب الاتجاه الغربي من الهيئات التدريسية كما عمل



على نشر الفكر الإسلامي عن طريق طباعة وتوزيع الكتب الإسلامية ، ومن أمثلة ذلك:

1- أمر بطباعة كتاب (صحيح البخاري) سنة 1892م في المطبعة الأميرية في مصر وكذلك أمر بطباعة (كتاب إظهار الحق) للشيخ الهندي الذي يحتوي على مناظرات مع المبشرين .

2- انشاء مدارس صناعية وكذلك مدارس لذوي الاحتياجات الخاصة (الصم والبكم) .

3- إقامة المكتبات العامة : كمكتبة (بايزيد) ومكتبة (يلدز) .

4- إنشاء المتاحف الوطنية كمتحف (الأثار القديمة) و(المتحف العسكري).
أما في مجال البناء والعمران : حيث شملت إقامة المشاريع الاروائية والبريدية والسكك الحديدية والمصانع المختلفة وإنشاء المستشفيات والغرف التجارية والصناعية والزراعية وإنشاء دور للعجزة ، كما تم إدخال الهاتف والسيارة والترام والتلغراف ضمن مواصلات واتصالات الدولة. كما هناك مجالات أخرى شملها التحديث في عهد السلطان عبد الحميد لم تقتصر النهضة الحميدية التحديثية على المعرفة والعمران بل شملت نواح عديدة لاقت نجاحا كبيرا .

الاصلاحات في مجال الاقتصاد

الفترات التي سبقت حكم السلطان عبد الحميد شهدت تسلا واسعا للنفوذ الاقتصادي الغربي في الدولة العثمانية نتيجة لما أحدثته سياسة التنظيمات ولجوء الحكام إلى الاقتراض الموسع من الدول الغربية ، ورغم من ان الكثيرين يؤكدون على استمرار اندماج اقتصاد الدولة في عهد السلطان عبد الحميد بالاقتصاد الأوروبي الرأسمالي ، بل كان عليه ان يتخذ الكثير من



الإجراءات للحد من تغلغل النفوذ الغربي في الدولة ولعل أهم هذه الإجراءات هو تقليص نفقات الدولة ، وقد شمل ذلك الغاء الكثير من المصروفات والغير ضرورية التي كانت تهدر في الفترات السابقة بشرط عدم المساس بالسلع والمواد الرئيسية التي يعتمد المواطن عليها كالكخبز مثال وكان هدف سياسة الترشيد هذه هو لعدم اللجوء للاقتراض من الخارج ذلك للاقتراض الذي ادى الى إفلاس الدولة وقيدها استقلالها وجعل مواردها بيد أعدائها وقد حاول تنظيم سداد الديون بإنشاء لجنة الديون العثمانية التي مثلت الدائنين في سنة 1881م ودخل في مفاوضات معها جعلها تخفض الدين إلى أقل من النصف اي بمقدار (41%) وتخفض الفائدة إلى 1% ، وتم وضع بعض موارد الدولة تحت تصرف هذه اللجنة وأصبحت الديون تسدد بانتظام حتى وصلت إلى العشرة بالمئة (10%) في نهاية عهد السلطان عبد الحميد ومن تلك الإجراءات المضادة للنفوذ الاقتصادي الغربي أن السلطان كان يحجم عن تنفيذ بعض المشاريع إذا أحس بالخطر من تسرب رأس المال الأجنبي من خلالها أو يتوجه إلى جهات غير طامعة لتنفيذ هذه المشاريع مثال طلبه من اليابان التنقيب عن النفط في الموصل بعد رفضه إعطاء هذا الامتياز الى بريطانيا وقد استمر الاقتصاد في عهده بالاعتماد على قاعدة الذهب والفضة وكانت النقود الذهبية والفضية متداولة أكثر من العملة الورقية التي كان بالإمكان تحويلها إلى ما يعادلها من الذهب في كافة أنحاء العالم .



المبحث الرابع

اعادة تنظيم الجيش

كانت وجهة نظر السلطان عبد الحميد هي البدء بالأعمار أهم من الدخول في الحروب حتى لو تم إحراز النصر فيها لان الحروب لا تأتي الا بالويلات والدمار للبلاد والمجد المتحصل من هذه الحروب زائف ولهذا فإنه لم يخوض او يدخل حربا مختارا إلا دفاعا عن النفس ولكن ذلك لم يمنعه من القيام بعمليات تحديث للجيش حيث تم تزويده بالأسلحة الحديثة واستدعاء المدربين والمستشارين العسكريين للاستفادة من خبراتهم في هذا المجال وقد أثبت الجيش فعاليته في الحرب مع اليونان 1897م ولعل من أهم إنجازات السلطان في هذا المجال هو تمويله تجارب ل سلاح الغواصات التي نتج عنها صناعة الغواصتين عبد المجيد عام 1887م وكذلك عبد الحميد في عام 1888م في اسطنبول في الوقت الذي لم يكن لبريطانيا غواصات ومن إنجازاته أيضا تحصين مضائق العاصمة بطريقة مكنت القوات العثمانية من صد هجمات الحلفاء في سنة 1915 م أثناء الحرب العالمية الأولى وتحقيق الانتصار المشهور في شبه جزيرة غاليبولي ويؤخذ على السلطان إهماله للأسطول الأمر الذي برر ذلك بأنه لما حاول إحلال قباطنة عثمانيين محل القباطنة الإنجليز تدخل السفير البريطاني لمنع هذا الامر مما دفع السلطان لإسقاط أمر الأسطول من حسابه ولم يلجأ لتصنيع السفن أن ذلك يستلزم أموال كثيرة والغرب ال يقرض أموالا لتصنيع ما يمكن بيعه للدولة جاهزا.

(12)



الإصلاحات في مجال القضاء

من الامور التي كان السلطان عبد الحميد يؤمن بها أن العدل هو الأساس الذي قامت عليه الدولة العثمانية التي ولو كانت قد جلبت الظلم لتفتتت منذ البداية ، ولهذا حاول القيام بإصلاح في مجال القضاء هدف إلى تحقيق المساواة بين الجميع أمام القانون وكفالة تطبيق العدالة بأسرع وقت عبر التنظيم التشريعي والإداري ومن الإجراءات التي اتخذها في هذا المجال:⁽¹³⁾

1- إنشاء كلية لدراسة الحقوق من أجل إعداد رجال قانون متخصصين في هذا المجال.

2- العمل على إعادة تنظيم وزارة العدل وتنظيم علاقاتها بمختلف أنواع المحاكم .

3- العمل على وضع برنامج الإصلاح استهل بقوانين صدرت بداية من سنة 1879م

وقد حققت هذه القوانين وغيرها مستوى عاليا من العدالة والنزاهة والنظام في التشريع القضائي لم تشهد الدولة العثمانية لها من قبل مثال. وكان جميع المتخصصين في المحاكم المدنية على اختلاف درجاتها وكذلك جميع المتهمين أمام محاكم الجنايات متساوين أمام القانون بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو مذاهبهم أو مستواهم الاجتماعي ، الا ان الغرب لم يكن سعيدا بهذه الإصلاحات لأنها وضعت الفرد العثماني والأجنبي أو الشخص المتمتع بالحماية الأجنبية داخل الدولة العثمانية على قدم المساواة وأصرت الدول الأوروبية على عدم تطبيق القوانين الجديدة على رعاياها مستندة في

¹³ - الشناوي د.عبد العزيز ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مقترى عليها ج 3 ص 171 ، مكتبة الانجلو



ذلك إلى معاهدات الامتيازات الأجنبية الأمر الذي أدى إلى إلغاء النتائج المرجوة من هذا الإصلاح وتحديد مستوى فاعليته.

الاصلاحات في مجال الصحة والتطور التكنولوجي

بعد ان تمت اصابة العديد من أقارب السلطان عبد الحميد بمختل الأمراض وأدت الى وفاة العديد منهم فقد أولى ميدان الصحة عناية كبيرة فأسس مستشفى عام (شفا خانه) في اسطنبول و كذلك دار أمراض القلب وعندما سمع بخبر عن الطبيب (لويس باستير) بأنه اكتشف مصلا لعالج مرض السعار أرسل لجنة مختصة لدراسة وتقييم الاكتشاف حيث قام بتمويل (معهد باستير) مقابل أن يرسل المعهد بأمصال لعالج (داء الكلب) لاستخدامه في المؤسسات الصحية للدولة العثمانية وفعال تم هذا الأمر بعد ثلاث سنوات ، كما كان يوجه دعوات لكبار العلماء والمخترعين الغربيين لزيارته في اسطنبول لذلك حيث كان قصر (يلدز) من أول الأماكن في العالم في استخدام التلغراف والهاتف والكاميرا الفوتوغرافية وعندما ذاع صيت المخترع (أديسون) (1847 – 1931) في عهد السلطان عبد الحميد ارسل اليه السلطان عرضا للمجيء الى اسطنبول والاستقرار فيها وإجراء بحوثه واختراعاته هناك مع تقديم كل التسهيلات التي يرغب فيها مع دفع أربعة أضعاف ما كان يحصل عليه من مبالغ في وطنه ولكن (أديسون) اعتذر عن العرض وفضل البقاء في وطنه . (14)

¹⁴ - اورخان ، محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، مكتبة دار النبار ، ط1 ، 1987م ، ص168



مشاريع الاعمار التي بدأها السلطان عبد الحميد في البلدان

العربية الخاضعة لسيطرة الدولة العثمانية

كانت حصة البلدان العربية على نصيب كبير من الجهود العمرانية التي قام بها السلطان عبد الحميد ويقول فيليب مانسل في مقدمته لكتاب بيروت والسلطان : إن "عبد الحميد عمد إلى توفير المال وتركيز الاهتمام على الأقاليم العربية بحيث فضلها على العديد من المناطق التركية" . (15)

بالإضافة إلى المدارس التي أنشأها في كافة أرجاء السلطنة قام بعمليات نهضة عمرانية طالت مختلف المناطق العربية مثل مناطق الحجاز حيث تم اقامة مشاريع تجديد وإصلاح وترميم وتوسعة للحرمين الشريفين والتي شملت الكعبة المشرفة والمطاف وكذلك مقام إبراهيم والمسعى والمسجد النبوي ومساجد المدينة الأخرى كما تم إنشاء مستشفى وصيدلية في منطقة منى إضافة الى تسوية الطرق المؤدية إلى جبل ثور وإنشاء مطبعة في مكة المكرمة لطباعة القرآن الكريم والكتب بكافة اللغات كما تم انشاء خطوط البرق وتم ربط مكة بجدة والطائف ومعان من خلال خطوط البرق وتزويد مكة ومدينة جدة بمياه العيون الصالحة للشرب ، حيث استمر العمل بهذا المشروع لمدة ثالث سنوات ونصف أما في مدينة جدة حيث انشأ مشروع لتزويد المدينة بمياه من خلال عين الوزيرية ذو المياه العذبة وتخليصها من الشرب من مياه الحفر المتعفنة اضافة الى مشروع مد سكة حديد الحجاز الذي هدف من خلالها إلى ربط عاصمة الخلافة بمدن الحجاز وتيسير الحج على المسلمين حيث استمر العمل في المشروع من عام 1900م إلى عام 1908م حتى بلغ المدينة المنورة وبلغ إجمالي كلفة هذا المشروع أكثر من أربعة ملايين ليرة تركية جمعت بتبرعات من المسلمين في كافة أنحاء العالم

15 - سوسن آغا وخالد عمر تدمري ، بيروت والسلطان ، تقديم فيليب مانسل الناشر: تراب لبنان بيروت 2009 ، ص 142



وكان من المقرر لهذا الخط هو الوصول إلى اليمن مرورا بمكة المكرمة إل أن معارضة الشريف حسين في حينها وكذلك عزل السلطان عبد الحميد حالا دون إتمام هذه المشاريع وقبل بدء العمل في سكة حديد الحجاز التي وصلت مدينة دمشق بالمدينة المنورة تم تدشين خط سكة حديد بين القدس ومدينة يافا في عام 1892م ثم سكة أخرى بين بيروت ودمشق عام 1895م وبين دمشق وحلب عام 1903م ثم مد فروع لخط الحجاز في أنحاء الشام وإنشاء خطوط البرق والبريد في أنحاء المدن الشامية كذلك في المدن الفلسطينية مثل القدس وبيت لحم ويافا ازدهرت السياحة وتحسنت الأوضاع الاقتصادية فيها من خلال بناء الفنادق وانتشار صناعات التحف وأعمال التشييد والبناء التي وسعت مدينة

القدس خارج حدود الأسوار وأوجدت فرص عمل للكثير من أهالي المدينة والريف على حد سواء كما تم إنشاء خط بين درعا وحيفا متفرع من خط الحجاز في 1905م أدى إلى ازدهارها حيث أصبح مينائها مركزا لتصدير المحاصيل الزراعية إلى الدول الأوروبية ومن أجل مد سلطة الدولة ومقاومة المحاولات البريطانية لمد نفوذ الاحتلال من مصر إلى الشام عمد السلطان إلى فصل قضاء النقب عن مدينة غزة وجعل مركزه مدينة جديدة أنشأها في بئر السبع عام 1901م والتي أخذت تتطور منذ ذلك الوقت ثم ازدادت أهميتها بعد ان وصل إليها خط الحجاز ، وأما مدينة بيروت فتحوّلت إلى واجهة عربية للنظر في الإمبراطورية العثمانية وقد أطلق عليها الإمبراطور غليوم الثاني إسم (الجوهرة في تاج السلطان) وفي عام 1888م ارتقت إلى مرتبة عاصمة للولاية وتحوّلت من مدينة تنتمي إلى القرون الوسطى إلى عاصمة إقليمية عصرية ولأول مرة منذ الإمبراطورية الرومانية أصبحت المرفأ الرئيسي على شرق البحر الأبيض المتوسط وارتفع عدد سكانها من حوالي 80 ألف نسمة عام 1877م إلى نحو 150 ألف نسمة عام 1908م حيث تم إنشاء الكليات الأمريكية والفرنسية إلى جانب العثمانية فيها حيث أصبحت



بيروت ينبوعا للثروة والتقدم والتعليم العصري بالتعاون مع بلدية بيروت لتوثيق المشاريع العسكرية والدينية والتعليمية والصحية والترفيهية ومشاريع البنية التحتية التي تمت أثناء عهد السلطان عبد الحميد في المدينة ونقلتها تلك النقلة الواسعة ، كما كان يوطد الأمن في هذه المملكة الخاصة الواسعة ويعفي المزارعين المستأجرين من التجنيد الاجباري ويحميهم من تعدي أرباب العمل ويمنحهم السلف من غير فوائد ربوية حتى عمرت تلك الأنحاء. وهناك مشروع كبير لو تحقق فإنه كان سيعود على الدولة العثمانية ووالياتها العربية بفوائد عظيمة وهو مشروع سكة حديد برلين - بغداد الذي عرضه الإمبراطور الألماني غليوم الثاني على السلطان عبد الحميد أثناء الزيارة الثانية التي قام بها الإمبراطور للدولة عام 1898م وتحمس السلطان للمشروع الذي كان قد أنجز الجزء الأكبر منه وربط قسمه الأوروبي إسطنبول بأوروبا ثم امتد في قسمه الآسيوي من إسطنبول إلى أنقرة فقونية ولم يتبق إل مداه إلى نهايته في الكويت على ساحل الخليج العربي (خليج البصرة) بالتسمية العثمانية وقد رأى السلطان في هذا المشروع فرصة للإفادة من التقدم العلمي والصناعي الألماني ونشر الازدهار على طول الطريق الذي ستمر به سكة الحديد بالإضافة إلى مواجهة النفوذ الروسي والفرسي في شرق الدولة ولكن بريطانيا وفرنسا وروسيا وقفت متحدة في مواجهة هذا المشروع وأثارت المشاكل ضده ووضعت جميع العراقيل السياسية والمالية في طريق عدم تحقيقه خشية على مصالحها الاستعمارية وكانت بريطانيا هي زعيمة المعارضة في هذا المر وتمكن هذا الحلف من تعطيل المشروع أولا ثم وقفه نهائيا بقيام الحرب العالمية عام 1914م .



وفاة السلطان عبد الحميد الثاني

نفي السلطان عبد الحميد إلى مدينة سالونيك وبقي هناك تحت الحراسة المشددة وفي أحوال سيئة وخلال إقامته في قصر بيالربايي زاد وضعه الصحي سوءا بعد إصابته بإنفلونزا شديدة حتى توفي من مضاعفات المرض في شباط 1919 عن عمر يناهز 67 عاما ، أي قبل 9 أشهر من انتهاء الحرب العالمية الأولى واشترك في تشييع جنازته الكثير من المسلمين وبتعليمات من السلطان رشاد جرى دفنه بعد يوم من وفاته في مقبرة السلطان محمود الثاني في اسطنبول بعد اعداد مراسم تأبين خاصة بالسلطين ورثاه كثير من الشعراء العرب والأترك بمن فيهم أكبر معارضيه.



مصادر البحث

1. السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود لمحمد مصطفى الهلالي ، دار الفكر المعاصر ، 2010م
2. دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ، د. فاضل بيات دار المدار الإسلامي 2003
3. السلطان عبد الحميد الثاني حياته و أحداث عهده ، تأليف أورخان محمد علي ، ط4 ، إسطنبول 2002
4. السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، محمد علي اورخان ، مكتبة دار النبار ، ط1 ، 1987م
5. الدولة العثمانية دولة اسالمية مفترى عليها ، الشناوي د. عبد العزيز ، ج3 مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة جامعة القاهرة 1980
- 7- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، علي محمد
- 8- السلطان عبد الحميد الثاني ، محمد حرب ، دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى 1410هـ/1990م .
- 9- مذكرات السلطان عبد الحميد ، تقديم د. محمد حرب ، دار القلم ، الطبعة الثالثة ، 1412هـ/1991م .